الرسالة

(١ كورنثوس ٦: ١٢–٢٠)

يا إخوةُ كلُّ شيءٍ مباحٌ لي ولكن ليس كلُّ شيءٍ يوافِق* كلُّ شيءٍ مُباحٌ لي ولكن لا يتسلَّطُ عليَّ شيءٌ* إنَّ الأطعمةَ للجوفِ والجوفَ للأطعمةِ وسيُبيدُ اللهُ هذا وتلك. أمَّا الجسدُ فليس للزِنى بل للربِّ والربُّ للجسد* واللهُ قد أقامَ الربَّ وسيُقيمُنا نحن أيضاً بقوَّتِه* أمَا تعلَمون أنَّ أجسادَكم هي أعضاءُ المسيح. أفآخذُ أعضاءَ المسيحِ وأجعلُها أعضاءَ زانيةٍ. حاشى* أمَا تعلمون أنَّ مَن اقترن بزانيةٍ يصيرُ معها جسداً واحداً. لأنَّه قد قيلَ يصيرانِ كِلاهما جسداً واحداً* أمَّا الذي يقترنُ بالربِّ فيكونُ معه روحاً واحداً* أهرُبوا من الزنى. فإنَّ كلَّ خطيئةٍ يفعلُها الإنسانُ هي في خارجِ الجسد. أمَّا الزاني فإنَّه يُخطىءُ إلى جسدِه* أم ألستُم تعلمونَ أنَ أجسادكم

الإبن الشاطر

الإبن الشاطر الذي يأتي على ذكره المَثَل الإنجيلي الذي يُقرأ على مسامعنا هذا اليوم (لو ١٥: ١١–٣٢)، قد يبدو للوهلة الأولى غبيّاً لا شطارة فيما قام به. هذا الإبن شطر ثروة والده وأخذ كلّ ما اعتبره حقّاً له من والده ليبتعد عنه ويحيا حياته لا كما يوصي أيّ أبٍ ابنه بل بحسب الشهوات. بتهوّرٍ وقلّة وعي تصرّف هذا الإبن ممتلئاً تكبّراً وأنانيّةً وحبّاً للذات. الإبن عينه أبدى حكمةً وتواضعاً كبيرين لما عاد إلى ذاته ووعى وضعه المزري وأقّر بصوابية العودة إلى الحضن الأبويّ تائباً. أدرك أنّ أباه محبٌّ معطاءٌ لا يردّ طلبةً لولده كما لم يحاول الحدّ من حريّته بدءاً. لقد كان عالماً أنّ أباه رحومٌ على العبيد يعاملهم كأولاده فكيف لا يرحم ابنه إن هو عاد إليه رغم كلّ ما فعله به.

كم من مرّة في اليوم يدير المسيحيّ ظهره للآب كما فعل الإبن الشاطر؟ حياة الرخاء والبحبوحة قد تدفع الإنسان إلى الشعور بالإستقلاليّة عن الله وبالقدرة الذاتيّة على تسيير الأمور اليوميّة. يجمح الإنسان أحياناً إلى الإعتزاز والثقة بالنفس فتغشى عيونه ولا يعود يلاحظ يد الله في حياته، ودوره المعتني. في حالاتٍ أخرى يتذمّر الإنسان من حالةٍ بائسة ومن أوضاعٍ إجتماعيّة وماديّة صعبة فيصبّ غضبه على الله ويكيل له الإتّهامات بالإهمال. يتناسى الإنسان عند هذه الظروف كلّ ما يقدّمه له الله من عنايةٍ وخيراتٍ يوميّة في سعيٍ إلى حياةٍ أفضل فيها من الكماليّات ما يعرف الله مسبقاً أنّه ليس بضروريّ. في حالاتٍ كهذه كما في حال مشاكل أخرى ينصرف الإنسان إلى محاولة عيش الحياة بعيداً عن الله. يظنّ الإنسان نتيجة ضعف الإيمان ونتيجة تفاقم حالة حبّ الذات لديه أنّ بمقدوره الإتّكال على ذاته والعناية بنفسه دون العودة للّه. هذه حالة الإبن في مَثَل الإبن الشاطر. فقد أراد أن يحيا بإستقلاليّة مطلقة فتنعّم بالخيرات التي يعطيها الآب وتصرّف على هواه. هنا حالةٌ من التكبّر يعرضها لنا هذا المثل الإنجيلي. ولكن هناك حالة أخرى من التكبّر بدافع الغيرة هي حالة الإبن الأكبر الذي اغتاظ من المعاملة الحسنة التي لقيها الإبن الضال حين

العدد ٩ / ٢٠١٦

الأحد ٢٨ شباط

أحد الإبن الشاطر

تذكار البار باسيليوس المعترف

اللحن السادس

إنجيل السَحَر السادس

عودته. هذا الإبن ظلّ محبّاً لوالده وعاش حياته في التواضع والطاعة ولم يخرج عن محبّة الوالد. إلاّ أنّ هوى الغيرة أضلّه حين رأى أخاه، وكأنّه وقع في حسدٍ أخيه على الحياة التي عاشها فتناسى بدوره النعيم الذي كان يتمتّع به في الحضن الأبويّ.

«اللّه محبّة» يخبرنا الإنجيلي يوحنا (١ يو ٤: ٨). بهذا السلاح، أي المحبّة، يواجه الله أبناءه. بالمحبّة واجه الأب ابنه فرضخ لطلبه وأعطاه حصّته من الميراث. بالمحبّة أيضاً استقبل الأب ابنه الضالّ حين عاد إليه دون أن يوجّه إليه أيّ كلمة عتابٍ أو لوم. بالمحبّة أيضاً خرج الأب لمواجهة ابنه الأكبر، ليحضنه ويحثّه على التمتّع بالمحفل والفرح بعودة أخيه. أمّا الإنسان فيتصرّف بدافعٍ من الشهوات والأهواء رغم سعي المؤمن الحقّ إلى الفضائل وممارستها بشكلٍ دؤوب. للّه قانونٌ واحد ووسيلةٌ واحدة في علاقته مع الإنسان هي «المحبّة» التي توّجها ببذل ابنه الوحيد على الصليب. «لأنه هكذا أحبَّ الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل مَن يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يو ٣: ١٦). أراد الله أن يجعلنا أبناءً وارثين له، لذلك لا يتوانى عن إعطائنا ما نحتاج إليه وأن يفرح بالمؤمنين وبتوبتهم. كما أنّه لا يتوانى عن إعطاء الإنسان ما لا يحتاجه وما قد يضرّه إن أصرّ ذاك على الإستقلاليّة. فالمحبّة لا تطلب شيئاً لذاتها.

بهذه المحبّة لا يعاتب الرب أبنه الضالّ في هذا المَثَل. ردّة فعل الآب هي قبولٌ غير مشروط لعودة المؤمن. يكفي المؤمن أن يرفض المضلّ وأن يستدير نحو الله بتوبةٍ ليكون مقبولاً ومحبوباً. حتّى الإنسان الضالّ، ككل خاطئ، يبقى محبوباً من الله. فالله محبّ، يحبّ الخاطئ والمؤمن، ينتظر توبة الأوّل ويفرح باستمرارٍ مع الثاني. وما الصليب إلاّ عبارة عن محبّةٍ لا حدود لها أظهرها الله من أجل الخطأة الذين برأيه، هم من يحتاجون للطبيب. الله محبّة، وهو محبّةٌ لا حدّ لها، مطلقة. محبّة يتعذّر على المنطق البشري فهمها حتى أصبحت هذه المحبّة ضلالة لليهود فلم يعرفوا المسيّا المنتظر. سلاحه كان المحبّة في وجه الغريب وقد ظهرت بالغفران على الصليب وهي وسيلته في رعاية أبنائه التائبين.

الإنسان مدعوٌّ إلى التوبة. صعوبة التوبة ليست في أن تُقبل، فالله المحبّ يقبلها دون شرطٍ، ولكن صعوبتها في إلتزامها والإقدام عليها. الصعوبة هي في الإقرار بالخطأ والجرأة على التوبة وطلب الغفران، لأنّ السيّد منتظرٌ يبحث عن الخراف الضالّة ومتى عاد واحدها يفرح به: «أقول لكم انه هكذا يكون فرح في السماء بخاطئ واحد يتوب أكثر من تسعة وتسعين بارًّا لا يحتاجون إلى التوبة» (لو ١٥: ٧). واجب المسيحيّ ألاّ يرفض المحبّة متنكّراً للّه، فاللّه معطٍ دون مقابل وسموحٌ لا يعاتب.

«في الأفكار الشريرة الثمانية» للقديس كاسيانوس الرومي

في التاسع والعشرين من شهر شباط تعيّد كنيستنا المقدسة للقديس يوحنا كاسيانوس الملقَّب بالروميّ. عاش قديسنا في القرنين الرابع والخامس. تنسّك في مصر لسنوات عدة ثم انتقل الى هي هيكل الروحِ القدسِ الذي فيكم الذي نِلتموهُ من اللـه وأنَّكم لستم لأنفسكم* لأنَّكم قد اشتُريتم بثمنٍ فمجّدوا اللهَ في أجسادِكم وفي أرواحِكم التي هي لله.

الإنجيل

(لوقا ١٥: ١١–٣٢)

قال الربُّ هذا المَثَل: إنسانٌ كان له إبنان* فقال أصغرُهما لأبيهِ يا أبتِ أعطِني النصيبَ الذي يخُصُّني من المال. فقَسَمَ بينهما معيشتَهُ* وبعد أيامٍ غيرِ كثيرةٍ جمَعَ الإبنُ الأصغرُ كلَّ شيءٍ له وسافرَ إلى بلدٍ بعيدٍ وبذَّرَ مالَهُ هناك عائشاً في الخلاعة* فلمَّا أنفقَ كلَّ شيءٍ له حدثَت في ذلك البلدِ مجاعةٌ شديدةٌ فأخذ في العَوَزِ* فذهب وانضوى إلى واحدٍ من أهلِ ذلك البلدِ فأرسلَهُ إلى حقولِه يرعى خنازيرَ* وكان يشتهي أن يملأ بطنه من الخرنوب الذي كانتِ الخنازيرُ تأكلُه فلم يُعطِهِ أحدٌ* فرجع إلى نفسِه وقال كم لأبي من أُجَراءَ يَفْضُلُ عنهم الخبزُ وأنا أهلِكُ جوعاً* أقوم وأمضي إلى أبي وأقولُ له يا أبتِ قد أخطأتُ إلى السماءِ وأمامك. ولستُ

مستحقًّا بعدُ أن أُدعى لك ابـنـاً فـاجـعـلـنـي كـأحدِ أُجـرائك* فـقـام وجـاء إلى أبـيـهِ. وفـيـمـا هـو بـعدُ غيْر بعيدٍ رآهُ أبوه فتحنَّنَ عليهِ وأسرع وألقى بنفسِه على عنقهِ وقبَّله* فقال له الإبنُ يـــا أبتِ قد أخـــطـــأتُ إلى الســمـــاءِ وأمـــامك ولست مستحِقًّا بعدُ أن أدعى لك ابـنـاً* فـقـال الأبُ لـعـبـيدهِ هـاتوا الحُلَّة الأولى وألبسوه واجـعـلـوا خـاتَمـاً في يدهِ وحـذاءً في رجـلَـيـهِ* وأْتـوا بـالـعِـجْـلِ المسمَّنِ واذبحوه فـنـأكُل ونـفـرَح* لأنَّ ابني هذا كان ميتاً فعاش وكان ضـــالًا فـــوُجد. فـطـفِـقـوا يفرحون* وكان ابنُه الأكبرُ في الحقل. فلمَّا أتى وقرُبَ مـن الـبـيتِ سمـعَ أصـواتَ الغناءِ والرقص* فدعا أحد الـغِـلـمـانِ وسـألَـهُ مـا هذا* فقال لهُ قد قدِمَ أخوك فذبحَ أبـوك الـعـجـلَ المسمَّنَ لأنَّه لـقـيَـهُ سـالماً* فـغضبَ ولم يُرِدْ أن يدخلَ. فخرجَ أبوهُ وطفِقَ يتوسَّلُ إليه* فـأجـابَ وقـــالَ لأبـيـهِ كـم لي مِـنَ السنينِ أخْدِمُكَ ولم أتَعَدَّ لك وصيةً قطُّ وأنت لم تُعطِني قـطُّ جَـديـيـاً لأفـرحَ مـع أصدقائي* ولمَّا جاءَ ابنُك هذا الذي أكلَ معيشتَك مع الـزواني ذبحتَ لـه الـعِـجـلَ المسمَّن* فقال لهُ يا ابني

القسطنطينية حيث أصبح تلميذاً للقـــديس يوحنا الذهبي الفم الذي سـامـه شمـاسـاً. بـعـد أن تـمّ نـفـي الذهبي الفم توجّه كاسيانوس الى رومـيـة حيث أمضى عشر سنوات اقـتـبـل خـلالـهـا رتـبـة الكهنوت. ثم انـتـقـل الـى فـرنـسـا وأسّس ديرَين، واحداً للرجـال والآخر للنساء. رقد في الرب عام ٤٣٥ م.

مـن أبـرز أعـمـال القديس كـاسـيـانـوس مـقـالـة فـي «الأفـكـار الشريـرة الـثـمـانـيـة» لـخّص فـيـهـا تعاليم الآباء حول الأهواء الثمانية. إن الأفكار تصير أهواء مميتة عندما يساء استخدامها، وقد تصير ميولاً في الإنسان وتتحوّل الى طبع قاس. ليست الأهـواء مـن طـبـيـعـة الـنـفس لكنها حالة غير طبيعية تنتج عن سـوء اسـتـخدام الإنسـان لـحـرّيـتـه. يحاول القديس كاسيانوس توضيح كـيـف تـولد الأهـواء وكـيـف يـمـكـن معالجتها.

في حديثه عن **شهوة الطعام** يذكر القديس كـاسـيـانـوس وجـود أنماط مـخـتـلـفـة مـن الصوم، وذلك بسبب عدم تسـاوي الـجـمـيـع فـي الـعـمـر والـقـدرة والـصـحـة الـجـسـديـة. إن الصـوم المـبـالَـغ بـه يُضعف الجسد فيتكاسل في الأعمال الروحية، كما أن الإكـثـار مـن الأطـعـمـة يضـعـف الـنـفس فـلا تـعـود تـهـتـم بـالأعمال الـروحـيـة، وهـكـذا تـكـون الـنـتـيـجـة واحدة في الحالتين. التغذية بمعيار وحـكـمـة مـفـيـدة لصـحـة الـجسد ولا تحرمه القداسة، لكن ذلك وحده لا يـمـنـح طـهـارة الـقـلب إن لم يترافق الصـوم مـع الـجـهـاد لـعـيش كـافـة الفضائل.

هوى **الزنى** يخصّ الجسد والنفس وتـبـدأ حـركـتـه فـي الإنسـان مـنـذ طفولته. يرى القديس كاسيانوس أن محاربة هذا الهوى تقتضي جهاداً مـزدوجـاً، فـالصـيـام الجسدي يجب أن يُقرن بـانسحاق القلب من خلال الصـلاة ومـطـالـعة الكتاب المقدس، وأن يـتـرافـق أيضـاً مـع الأعـمـال الـيدويـة والأتـعـاب. وفـي حـال لـم يتمتع الإنسان بتواضع لا يستطيع أن يغلب أيّ هوى. التنقية تبدأ من الـقـلب مـن خـلال مـراقـبـة الأفـكـار والمطالعة الروحية. في كلّ ذلك لا ينبغي أن يثق الإنسان بقواه الذاتية بل أن يكون دائم الاتّكال على نعمة الله.

سبب **حبُّ المال وكثرة القنية** قلّة الإيمان لأن الإنسان يخشى الاتّكال على الله. هذا الهوى كونه يأتي من خـارج الـجسد يـمـكـن قطعه بسهولة أكـثـر مـن الأهـواء الأخرى، عـنـدمـا يبدي الإنسان جهاداً مع انتباه. أما إهمال هذا الهوى فيجلب ضرراً على الإنسـان أكـثـر مـن الأهـواء الأخـرى لأن حبّ الـمـــال أصـل وجـذر كـلّ الشرور كما يسميه بولس الرسول، وقد يتحوّل الى «عبادة وثن» (١ تيم ٦: ١٠) إذ إنـه يشـغـل الإنسـان عـن محبة الله.

هـوى **الغضب** يـعـتـبره القديس كاسيانوس كالسمّ القاتل في القلب، فـهـو يـعـمـي عـيـون الإنسـان بالاضطرابات فلا يعود قادراً على تمييز مصلحته. يقول سفر المزامير: «اضطربت عيناي من الغضب» (مز ٦: ٨)، أما سفر الجامعة فيوضح أنه «فـي أحضـان الـجـهّـال يـتـربّـع الـغضب» (جـا ٧: ٩). مـن يـريد أن يؤدّب الآخر أو أن يعاقبه عليه أن يكون هـادئـاً لأن الغضب وإن كان مبرَّراً أحياناً، إلاّ أنّ ناره إن اشتعلت فينا تفقدنا النظر الروحي السليم. من الممكن أن يكون الغضـب مفيداً عـنـدمـــا نـوجّـهـــه تـجـاه الأفكار الشريـرة والـخـطـايـا. إن الشفاء من الـغضب لا يـكـمـن فـي طول أنـاة الآخرين معنا، بل في وداعتنا نحن تجاه الآخرين.

قد يقبض على النفس هوى **الكآبة** فيُظلم عيونها وتغدو غير قادرة على الرؤية الروحية والأعمال الصالحة. يقول القديس كاسيانوس إن الكآبة تبلبل أفكار النفس الصالحة وتشلّ نشاطها فتوصلها الى الغباوة واليأس. كما يأكل العثُّ الثياب هكذا تفتك الكآبة بنفس الإنسان فتملأها بعدم الرضى والعتاب والكسل. الحزن المفيد للإنسان هو حزن التوبة الصالح المقرون بالرجاء: «لأن الحزن الذي بحسب مشيئة الله ينشئ توبة لخلاص بلا ندامة، وأما حزن العالم فينشئ موتاً» (٢ كو ٧: ١٠).

هوى **الكسل** يتّحد بهوى الكآبة وينمّيه. هذا الهوى، بحسب القديس كاسيانوس، عندما يرمي الإنسان بنباله يجعله متردداً في كلّ شيء، متكاسلاً وعاطلاً. الإنسان الكسول يقول عنه بولس الرسول: «إن كان أحد لا يريد أن يشتغل فلا يأكل أيضاً» (٢ تس ٣: ١٠). إن آباء الكنيسة على مرّ العصور لم يتركوا أنفسهم عاطلين عن العمل، وكانوا بعملهم يطردون هوى الكسل ويؤمّنون طعامهم ويساعدون المحتاجين. عندما حورب القديس كاسيانوس بهوى الكسل التجأ الى الأب موسى وقال له: «بالأمس حوربت جداً من الكسل ولم أنجُ منه إلا عندما زرت الأب بولس»، فأجابه الأب موسى: «انتبه وتشدّد، فإنك لم تنجُ من هوى الكسل ولم تتحرر منه وإنما بالواقع أُسرت منه واستُعبدت له. إعلم جيداً أنه من الآن سيحاربك هذا الهوى أكثر كَفارٍّ إذا لم تعد وتحاول أن تحاربه وتنتصر عليه بالصلاة والعمل اليدوي والصبر».

هوى **المجد الباطل** كثير الأشكال ولا يمكن تمييزه بسهولة لذلك يُغلب بصعوبة. يستطيع هذا الهوى أن يتغلغل داخل كل الأمور التي نقوم بها والفضائل التي نمارسها. عنه يقول القديس كاسيانوس إن لم يحارب الإنسانَ بالشرف يحاربه بالصبر الظاهري على الإهانة، وإذا لم يقدر على الإنسان بمعرفة التكلّم فهو يصطاده بالصمت مظهراً له أنه هدوئي. ففي كل عمل أو جهد يجد هذا الهوى فرصة لمحاربتنا. من يريد أن يتغلب على هذا الهوى يجب أن لا يقوم بأي عمل حباً بالمديح البشري، بل عليه أن يتذكّر كلمات المزمور: «الرب يبعثر عظام المترفّعين» (مز ٥٢: ٦).

الهوى الثامن والأخير هو **الكبرياء**، هذا يحارب الكاملين. كلّ هوى من الأهواء المذكورة أعلاه يحارب فضيلة واحدة تعاكسه، أما الكبرياء فيسعى الى تحطيم النفس بجملتها. يقول القديس كاسيانوس أنه مثل طاغية جبار عندما يسيطر على مدينة يدمّرها كلها، وأبلغ مثال على ذلك الملاك الذي سقط من السماء لأنه لم يرد أن يعيد فضائله لله بل نسبها الى طبيعته بالذات فظنّ أنه مساوٍ لله. لذلك يحثنا القديس على تذكر كلمات الرب: «بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً» (يو ١٥: ٥)، وكلمات الرسول بولس: «لستُ أنا ولكن نعمة الله التي معي» (١ كو ١٥: ١٠). لا توجد طريق أخرى الى الكمال الروحي غير طريق التواضع المقدس.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

أنت معي في كلّ حينٍ وكلُّ ما هو لي فهو لك* ولكن كان ينبغي أن نفرحَ ونُسَرَّ لأنَّ أخاك هذا كان ميّتاً فعاشَ وكان ضالاً فوُجد.

تأمل

إن كان الإقرار بخطايانا يولّد تعزيةً هذا مقدارها، فلكم بالأكثر غسلها بأعمالنا! وإن كان الأمر خلافاً لذلك، وكان الله يمنع الخارجين عن الصراط المستقيم من العودة إلى حالتهم السابقة، فلا أحد يستطيع الدخول إلى ملكوت السموات، أو ربما قليلون هم الذين يدخلون. بل إنّا نجد الأكثر شهرةً في الواقع بين أولئك الذين أصلحوا سقطاتهم. فلقد كانوا يُظهرون حماساً شديداً للشرّ فصاروا يُبدون الحميّة عينها للخير، إذ وَعوا جسامة الديون التي استدانوها. وإذ يضطرمون بنار التوبة يجعلون نفوسهم أشدّ نقاوة من الذهب المصفّى، ثم بهَدْي ضميرهم وتذكّر خطاياهم السالفة يبلغون ميناء اللّاهوى مدفوعين بهذه الريح العاتية.

القديس يوحنا الذهبي الفم